

تاريخ الاستلام: 2023/01/18 تاريخ القبول: 2024/02/24 تاريخ النشر: 2024/06/30

وسيلة بوبعلى *

جامعة قاصدي مرباح - ورقلة (الجزائر)

Email : wasilabouyala@gmail.com

ملخص:

شكلت القلاع أو هيقليعين على مر السنين حسب الذاكرة الجماعية استراتيجية بقاء للقبائل الأوراسية ، والتي شيدت من أجل الحماية و الدفاع ضد الأعداء المترصين للغزو و السطو على الممتلكات التي تتوفر عليها ، و من الناحية الاجتماعية- الثقافية ترمز القلاع الأوراسية بمنطقة جبل أحمر خدو إلى وحدة القبيلة و إلى مختلف الروابط القرابية بين أفرادها ، و في الحفاظ على نسلها ونسبها و ذلك في ربط مختلف الأسر و العشائر بالقبيلة الأم و نواة قريتها الأصل إضافة إلى أن كل أسرة تملك حيزا خاصا بها لادخار مؤونتها إلى حين عودتها من رحلة الشتاء أين تستقر بالحدود الجنوبية للأوراس المتاخمة للصحراء ، وبعد هاته الإقامة تعود إلى موطنها الأم .

الكلمات المفتاحية: الأوراس ؛ جبل أحمر خدو ؛ القلاع ؛ كباش ؛ آث عبد الرحمان .

Abstract:

Castles, over the years, have been formed according to the collective memory, a survival strategy for the Eurasian tribes, which were built for the protection and defense against enemies who were looking to invade and rob the properties available on them. From the socio-cultural point of view, the Eurasian castles in Jabal Ahmar Khaddu region symbolize the unity of the tribe and the various kinship ties between its members, and the preservation of its offspring and lineage, in linking the various families and clans to the mother tribe and the nucleus of its village of origin, in addition to the fact that each family has a private space In order to save her supplies when it returns from the winter trip, where it settles in the southern borders of the Aures bordering the desert, and after this stay it returns to her motherland.

Keywords: Aures , Jabal Ahmar Khedou , castles , Akbash , Ath Abd al-Rahman .

المقدمة

عرفت شمال إفريقيا بوجود ما يسمى مخازن الحبوب المحصنة بالمناطق الجبلية خاصة، وهي عبارة عن مخازن جماعية فرضتها العادات القديمة المشتركة تحت اسم القلعة أو أغادير، نصبت على شكل كتل مباني ضمن بعض الجبال المحاذية للصحراء، منها منازل القرى، وأخرى منعزلة بأعالي قمم الجبال. (Despois, 1953, p.39)

والقلاع كبنائية معمارية تعني باللغة الأمازيغية المخزن المشترك وهي منشآت جماعية قديمة عالية الأسوار والأبراج يعود تاريخ بناء جملها إلى ما قبل 1000 سنة، إذ لا تؤثر فيها العوامل الطبيعية كالزلازل والرياح وتبنى في أعالي الجبال لحماية المدخرات المعيشية من هجمات الأعداء (باردو، 2020، ص 9).

ولعبت القلاع في الأوراس ولمئات السنين دوراً محورياً في حياة الفرد والمجتمع سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية، وفي حالات السلم أو الحرب على حد سواء، ولقد أحصت الباحثة "تيراز ريفيار" حوالي 106 قلعة منتشرة عبر الأوراس سنة 1935 معظمها في منطقة جبل أحمردو. (ساعد، 2017، ص 226).

ومن الناحية السسيولوجية فالقلاع هي مخازن جماعية لها دور مقدس بقدر دورها المادي، فهي ترمز إلى حيوية العرش كمجموعة موحدة، تظهر قوتها، الاقتصادية وازدهارها وتماسكها، تاقليعت تظهر بالكامل مجموعة بشرية متحدة. (باردو، 2020، ص 10)

من هنا نطرح التساؤل الرئيسي التالي ما هي الخصائص العمرانية والسسيو-ثقافية للقلاع الأوراسية في منطقة جبل أحمردو بصفة عامة، وقلعة أكباش بصفة خاصة؟ ومن الأهداف التي أرجوها من هذا المقال ما يلي:

- الإسهام في إبراز التراث العمراني للمنطقة، وخاصة عند عرش آث عبد الرحمان بدوار تاجموت سابقاً.

- الكشف عن جزء من تاريخ قلعة أكباش، ونفض الغبار عنه.

أما فيما يتعلق بمنهجية الدراسة:

اعتمدنا في هذا المقال على الدراسات التي أنجزت حول منطقة جبل أحمر خدو، ومنطقة أكباش على وجه الخصوص، والتي أعدت في الفترة الكولونيالية من طرف بعض الضباط العسكريين الفرنسيين، والرحالة الفرنسيين، والمختصين في علم الأجناس وخاصة الباحثين الفرنسيين (تيريز ريفيار) و(جيرمان تيليون) سنوات 1935 إلى غاية 1936.

كما اعتمدنا على المقابلة الحرة وهي أداة مهمة ساعدت على جمع المعلومات اللازمة وبطريقة مباشرة حول بعض التسميات، وتاريخ القلعة وبعض الممارسات والأعراف وعادات عرش آث عبد الرحمان أكباش، و تم إجراء المقابلة مع 8 إخباريين من كبار عرش آث عبد الرحمان أكباش تتراوح اعمارهم بين 75 سنة -80 سنة.

1- طبونيميا (أوراس، أحمرخدو، تقليعث، أكباش، عرش آث عبد الرحمان)

تعتبر الطبونيميا من بين المسارات العلمية التي تساعد على معرفة تاريخ المجتمعات المحلية، خاصة تلك التي تعتمد على الشفاهية لحفظ تاريخها كما هو الحال بالنسبة لمجتمعات المغرب الإسلامي، فالطبونيميا تكشف لنا عن كيفية اتخاذ الأماكن والأشياء لأسمائها، وكيفية تعامل الناس مع المجال أو الفضاء الذي يشغلونه، وهناك عدد هام من التسميات الأماكنية يخضع تفسيرها إلى معتقدات راسخة في عمق المجتمع، وهي تعتمد على رموز ودلالات ثقافية لا يمكن تجاهلها، هذه التسميات يمكنها لعب دور محوري في دراسة معتقدات المجتمع وعلاقتها بالطقوس والشعائر الموغلة في القدم. (ساعد، 2017، ص 10).

1-1 أوراس : AWRAS

صورة رقم 01 موقع جبال الاوراس في الجزائر



المصدر :

[HTTPS://WWW.GOOGLE.COM/SEARCH?SCA_ESV=600752817](https://www.google.com/search?sca_esv=600752817)

إن كل التخمينات التي تربط طوبونيم أوراس بالكلمة العربية "ورس WERS" الذي هو نوع من النبات ذو اللون الأصفر هي مجانبة للصواب، باعتبار أن أوراس قد ورد في كتابات المؤرخين القدماء مثل بروكوب البيزنطي قبل دخول العرب إلى شمال إفريقيا، إثر مقاومة الأوراس للجيش البيزنطي فذكره باسم AURASSIUS. (ساعد، 2017، ص 52) قد يكون البكري هو أول مؤرخ يحاول التطرق إلى معنى كلمة أوراس، وذلك في كتابه "المغرب في بلاد إفريقيا والمغرب" ويتحدث فيه عن TAWRAST وهي مدينة قرب المسيلة، وتعني حسب الحمراء فأورد "مدينة أيضا للأول خالية تسمى بالبربرية تاورست، تفسيره الحمراء، وهي مبنية بالصخر على نهر عذب" (بوساحة، 2002، ص 13)، هذا يؤكد رأي الأكاديمي المغربي محمد شفيق الذي أورد في معجمه أن كلمة أوراس هي كلمة أمازيغية تطلق على اللون الأصهب، وخاصة الحصان إذا كان أبيضاً تخالطه حمرة فيقال AWRAS وجمعه IWERRASEN وتنطق أيضا ARAS وجمعه ARASEN أما المصدر في كل ذلك فهو

TARUSI، وسواء تطابق ذلك مع الإنسان أو الحيوان يبقى المعنى واحد وهو اللون الأصهب، في الأوراس ما زال كبار السن يطلقون تسمية "أراس ARAS" على الخيل الأصهب، كما تطلق على الشخص الأشقر على سبيل المزاح. (ساعد، 2017، ص 53)

هنا يجب التطرق إلى مرتفع بولاية خنشلة والذي يحمل تسمية AWRAS وهو عبارة عن تلة تسمى HILL N WAWRAS كما يسميها سكان باتنة TAQERBUST N WAWRAS، هذا المرتفع عبارة عن سلسلة جبلية متوسطة العلو، تمتد من قرية عين ميمون ببلدية طامزا، وتطل على الجهة الأخرى على مدينة خنشلة وهنا تتغير تسميته لتصبح IXF N USERDUN أو كما تعرف أيضا برأس السردون، وهو ما يعني أن كلمة أوراس كانت تشمل كل تلك السلسلة الجبلية قبل أن تنحصر في مرتفع عين ميمون الحالي. (ساعد، 2017، ص 30)

أما من الناحية الجغرافية، فأوراس منطقة جبلية واسعة وغنية بماض عريق، وهو إقليم في شرق الجزائر يتربع على مساحة 9000 كلم مربع، وأعلى قمة فيه شيليا وتبلغ 2327 م (القمة تدعى كلثوم)، يحده من الشمال عين مليلة وقلمة وسوق أهراس، أما شرقا تبسة وجبل العنق، ويحده جنوبا نقرين وخنقة سيدي ناجي وبسكرة، أما غربا بريكمة. (باردو، 2020، ص 8)

2-1 جبل أحمر خدو: HMER XEDDU

صورة رقم (2) : توضيح جبل أحمر خدو في جبال الاوراس بين ولايتي بسكرة و باتنة



المصدر [TTPS://WWW.GOOGLE.COM/MAPS/SEARCH/%D8%](https://www.google.com/maps/search/%D8%)

هي سلسلة جبلية، تقع بأعالي أوراس وهي محاطة بعدة قرى ومدامر كل من بلديتي مشونش وغسيرة ومزيرة، وتربع على مساحة 1300 كلم²، وتقع على ارتفاعات تتراوح بين 400م حتى 1984م شرق ولاية بسكرة. (باردو، 2020، ص 9)

فيما يخص تسمية HMER XEDDU يعتقد البعض أن الاسم مرتبط بالوجه المقابل الشمس من الجبل مما يضيف عليه بعض الحمرة، غير أن هذا الطوبونيم لا يمكن تجاوزه بهذه البساطة والتفسير السطحي. (ساعد، 2017، ص 34)

لابد أن هذا الطوبونيم قد تعرضت ملامحه لتحريف شامل قضى على معالمه الحقيقية، فلقد ذكر الرحالة الفرنسي A.CIBOT "بأن أصل تسمية XEDDU تعني الجرف والمعنى العام هو الجرف الأحمر". (Cibot, 1870, p.12)

أما الباحث الفرنسي "L.RINN" الذي كان مكلفاً بمهمة مسح الأراضي عام 1866 فقد ذكر في مقاله عدة تسميات لأماكن ضمن سلسلة أحمد خدو، والتي من الواضح أنها أمازيغية بعضها لا يزال معروفاً مثل IXDI IMESMUDEN IXDI NEBDUS أما باقي التسميات فلم يعد لها وجود اليوم، وقد كتبت جميعاً بصيغة IXDI كما تم شرحها من طرف RINN بأنها تعني الجرف أو ما يسمى KAF باللغة العامية. (بن ايدر، 2016، ص 109)

ولابد أن تسمية HMER XEDDU أطلقت على مكان صغير في تلك الجبال لتعمم فيما بعد على منطقة واسعة، وهذا ما يؤكد الباحث L.RINN الذي يرى أن إطلاق التسمية في البداية كان من الجهة الغربية للجبل دون تحديد المكان بالضبط. (Rinn, 1893, p.322)

3-1 القلاع TAQLI3T:

عرفت شمال إفريقيا بوجود ما يسمى بمخازن الحبوب المحصنة بالمناطق الجبلية خاصة وهي عبارة عن مخازن جماعية فرضتها العادات القديمة المشتركة تحت اسم القلعة أو أغادير نصبت على شكل كتل مباني ضمن بعض الجبال المحاذية للصحراء منها ضمن منازل القرى

وأخرى منعزلة بأعالي قمم الجبال (Despois, 1953, p.39) وهذا ما لاحظته E.MASEQUARY الذي مكث في قرى وادي الأبيض لمدة خمسة وعشرين عاما منشآت صغيرة، وأدرك أنها لم تكن مساحات للعيش، ولكنها خلايا تخزين فقط. (باردو، 2020، ص 9) ولعبت هذه القلاع في الأوراس ولمئات السنين دورا محوريا في حياة الفرد والمجتمع سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية، وفي حالات السلم أو الحرب على حد سواء، ولقد أحصت الباحثة الفرنسية "تيرازيفيار" حوالي 106 من القلاع منتشرة عبر الأوراس سنة 1935 و1937 وتعتبر هذه المخازن الجماعية بمجدران سميكة وأسوار عالية وفتحات لقذف السهام وتبنى على قمم مرتفعة شديدة (باردو، 2020، ص 10)

وطوبونيم TAQLIET وجمعه TIQLIEIN، والذي يشير إلى كلمة TAQLUET وجمعه TIQELLUEIN الذي يعني الكتلة، والقلعة في الأوراس عبارة عن تكتل ضخم للغرف الضيقة والمتراصة (ساعد، 2017، ص 228)

وتأقليت كبنائية معمارية تعني باللغة الأمازيغية المخزن المشترك، وهي منشآت جماعية قديمة عالية الأسوار والأبراج يعود تاريخ بناء جملها إلى ما قبل 1000 سنة إذ لا تؤثر فيها العوامل الطبيعية كالزلازل والرياح، وتبنى في أعالي الجبال لحماية المدخرات المعيشية من هجمات الأعداء (باردو، 2020، ص 9)

ومن الناحية السيوانثروبولوجية القلاع مخازن جماعية لها دور مقدس بقدر دورها المادي، فهي ترمز إلى حيوية العرش كمجموعة موحدة تظهر قوتها الاقتصادية وازدهارها وتماسكها، تأقليت تظهر بالكامل مجموعة بشرية متحدة (باردو، 2020، ص 10).

1-4 أكباش : KBAC

صورة رقم 3 لموقع بلدية أمزيرة في ولاية بسكرة



المصدر :- [HTTPS://WWW.GOOGLE.COM/SEARCH?Q=%D8](https://www.google.com/search?q=%D8)

هي منطقة جبلية صعبة التضاريس تقع بأعالي بلدية أمزيرة ولاية بسكرة، جنوب أوراس، تعرف المنطقة تاريخيا بقلعة أكباش والتي تقع شمالا على بعد 30 كلم من مقر بلدية أمزيرة، وقد بنيت على طول مرتفع جبلي غاية في الانحدار على شكل مدرج بطريقة فريدة من نوعها مما شد انتباه الباحثين الفرنسيين لدراستها.

وكلمة أكباش حسب الباحثة "جيرمان تيليون" كلمة عربية هو اسم للماشية وتم إطلاقه على القلعة (Tillion, 2000, p.152) وهذا ينطبق مع رواية الإخباري (أ. ب) الذي أجريت المقابلة معه يوم 20/10/2022 والذي يقول "عندما قرر سكان عرش آث عبد الرحمان بناء قلعة لهم، بعد أن تم السطو على القلعة العتيقة هابندوت أطلقوا صخرتين كبيرتين لاختيار موقع القلعة من لصفاح إيشرقين فسقطت الصخرتين محدثين صوتا شبيها بتناطح الكباش فأسموا القلعة أكباش.

وفي هذا الصدد ترى الباحثة خديجة ساعد أن تسمية أكباش في اللغة الأمازيغية تأخذنا إلى الجذر اللغوي KBC وهي غير ذات صلة باللغة العربية كبش وكباش، والتي يعتقد

البعض بأنها سبب التسمية، بالنظر إلى تربية الماعز كونه يتأقلم دوما مع التضاريس الصعبة عكس الشياه (ساعد، 2017، ص 151)

إن تسمية KBAC انتقلت من الطوبونيم إلى السكان في البدايات الأولى لدخول فرنسا إلى الجزائر ومنذ حينها وهم يحملون اسم "ATH ABDRAHMAN KBAC"، وحسب الباحثة خديجة ساعد فإن لفظ KBAC قد يكون ذا صلة بالفعل المعروف بالمتغير الشاوي YEKBEK والتي تعني تشبث من المصدر YETEBUBIC والتي تعني التشبث، والملاحظ لقلعة أكباش، وكأنها متشبثة في مرتفع جبلي يصعب فيه تشييد بناء، لأنه منحدر شديد الميلان، وهنا تكمن عبقرية إنسان أوراس في فن البناء (ساعد، 2017، ص 152).

1-5 عرش آث عبد الرحمان أكباش

هو عرش من عروش أوراس الكبير يقطن منطقة أكباش بجبل أحمر خدو، لا يزال أهلها ناطقين بالأمازيغية متشبثين بأصالة أجدادهم الجزائرية، وما تواجد القلاع والآثار الموجودة بالمنطقة إلا دليل على أن أهل المنطقة ضاربون في عمق التاريخ، فالملك بيداس من هذه المنطقة (باردو، 2020، ص 11)

وعرش آث عبد الرحمان أكباش هو عرش أصيل في هذه المنطقة وله أثر في جنوب الأوراس، وعلى رأسهم الشيخ الطيب أوس براهيم (الطبيب العقبي)، وإليهم لجأ أحمد باي آخر بايات قسنطينة، وآثاره لا زالت شاهدة على ذلك بالقرب من قلعة أكباش، وكانت عندهم محكمة تقضى فيها أمور الناس وآثارها لا زالت بمنطقة سانف. (باردو، 2020، ص 11)

2- الخصائص العمرانية للقلاع الأوراسية من خلال قلعة أكباش جبل أحمر خدو

2-1 موقع قلعة أكباش:

تقع هذه القلعة بمنطقة أكباش بجبل أحمردو بلدية مزيرعة، دائرة زريبة الوادي ولاية بسكرة جنوب أوراس، وتبعد عن بلدية مزيرعة مسافة 30 كلم طريق معبدة، أما 9 كلم الباقية فهي عبارة عن مسلك ترابي يمكن استعماله بأي وسيلة نقل متاحة. أما في القديم، كان ساكنة عرش آث عبد الرحمان ينتقلون مشيا على الأقدام وفي هذا يروي الإخباري السيد (أ.ب) بأن أبناء العرش كانوا يستعملون الحمير والبغال انطلاقا من مزيرعة، وكان يلزمهم أكثر من ثلاث ساعات و نصف من الزمن للوصول إلى عين المكان، وهذا رغم كل الظروف الطبيعية الصعبة ، التي تتطلب جهدا ومشقة كبيرة خاصة في فصل الصيف ،الذي يمتاز بالحرارة الشديدة التي تصل في بعض الأحيان ثمانية وأربعين درجة مئوية تحت الظل .

ويضيف نفس المتحدث أن التنقلات تتم غالبا في الليل أو في الصباح الباكر قبل شروق الشمس، وهذا في فصل الصيف أين تصل درجة الحرارة ذروتها وخاصة في شهر أوت.

2-2 قلعة أكباش قراءة تاريخية

تعتبر قلعة أكباش من أهم وأبرز القلاع، وخاصة بالجهة الجنوبية منها جبل أحمردو، لما لها من تاريخ عبر عدة محطات تميزها عن باقي القلاع أهمها.

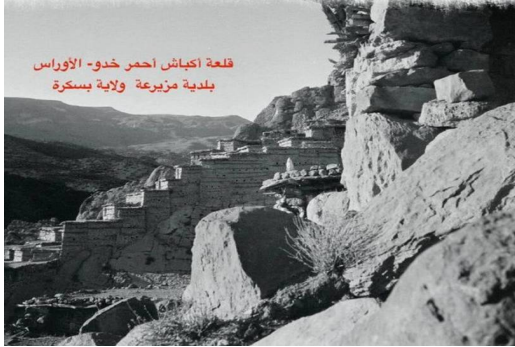
إن تحصن قلعة أكباش هو الذي دفع بأحمد باي اللجوء إليها، بعد أن فر من قسنطينة نحو الأوراس، ولقد مكث بقلعة أكباش لمدة ثلاث سنوات 22 ماي 1845 إلى غاية 5 جوان 1848 (Keun, 1930, pp. 185-189) وما زالت آثار البناية، المشيدة بالقرب من القلعة شاهدة على الفترة التي قضاها أحمد باي وسط عرش آث عبد الرحمان، ويطلق عليها السكان اسم أحواش الباي (سناعي، 2019، ص 30)

تم تصنيف قلعة أكباش كمعلم عمراني من طرف السلطات الفرنسية بتاريخ 30 أكتوبر 1928 م، وفي نفس السنة شب في القلعة حريق أتى على جزء كبير منها، وتم إعادة ترميمها وذلك بدعم من طرف البلدية المختلطة للأوراس بمبلغ قدر بـ 6000 فرنك فرنسي (ساعد، 2017، ص 230)

قيام الباحثين الفرنسيين (تيريز ريفيار)، (جيرمان تيليون) المختصتين في علم الأجناس بدراسة دقيقة حول قلعة أكباش أثناء حلولها عند عرش آث عبد الرحمان سنة 1935 والتقاط العشرات من الصور الفوتوغرافية الرائعة لها ومن عدة زوايا، أما اليوم، فلم يبق إلا الأطلال من تلك القلعة التي عمرت أزيد من قرنين من الزمن، لتقوم فرنسا الاستعمارية بتدميرها كلها بتاريخ 29 ماي 1955 بواسطة سلاح الجو إبان الثورة التحريرية بذريعة إيوائها للمجاهدين (سناحي، 2019، ص 31).

2-3 مراحل تشييد القلعة

صورة رقم (4) صورة جانبية ل: قلعة أكباش



المصدر : تصوير هاوي لقلاع الاوراس

تتميز مرحلة ما قبل تشييد قلعة أكباش بالغموض، باستثناء بعض النقاط التي سجلتها الباحثة الفرنسية "تيريز ريفيار" المختصة في علم الأجناس التي دونت في أحد دفاتر

نقاطها وعددها 18 دفترًا، والذي خصصته للحديث عن القلاع في الأوراس وخاصة في منطقة جبل أحمر خدو، ومن بينها قلاع عرش آث عبد الرحمان وهذا في سنوات الثلاثينات من القرن الماضي وبالتحديد سنوات 1935 و 1936 ومن بين ما ذكرت أن قلعة تابندوت كانت ملكا لعرش آث عبد الرحمان منذ حوالي ستة إلى سبعة قرون خلت (سناحي، 2019، ص 13) وتضيف قائلة "على الجانب الأيمن من وادي أكباش وعلى بعد خمسة كيلومترات جنوب مشتا أكباش وعلى مسافة 0,8 كلم من الطريق المؤدي بين جميما مروراً بأكباش وقصر آث أيوب تتواجد، تاقليعت تابندوت وعلى صخرة شاهقة الارتفاع على علو 75 متراً (باردو، 2020، ص 15)

وفي هذا الصدد يقول الإخباري السيد (ف. ب) الذي أجريت معه المقابلة يوم 2022/10/26 "أن قلعة تابندوت بنيت منذ سبعة قرون خلت، أي بنيت سنوات 1200 م تاقليعت مستطيلة الشكل يتوسطها صحن مركزي، كما أنها تتوسط الفج أو الوادي على قمة الصخرة، يتم العبور إليها بواسطة جسر خشبي متحرك آنذاك طوله 15 م، تم حرقه من قبل الأعداء.

ويقدر زمن حرق وتخريب القلعة حوالي 1570م، حيث انتقل عرش آث عبد الرحمان أكباش شمالاً وهجروها، وكونوا خمس مجموعات بشرية هارفيقت FRACTION تحت اسم عرش آث عبد الرحمان أكباش، وحينئذ قرروا أن يشيدوا قلاعاً متفرقة، لأن السطو على قلعة واحدة هو أزمة اقتصادية للعرش برمته (باردو، 2020، ص 13).

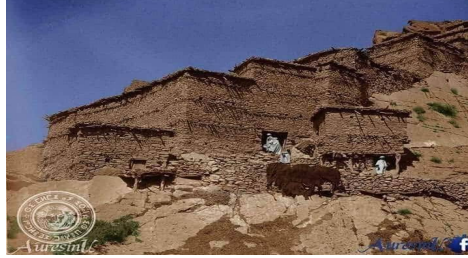
وتابندوت أقدم قلعة من الناحية التاريخية المعلومة لعرش آث عبد الرحمان أكباش وربما أوراس بأكمله كما ذكرته الباحثة "تيريز ريفيار" والباحثة المكناة بالأوراسية "جيرمان تيليون" والباحث "جاك فوبلي" أنها شيدت قبل 1935 بسبعة قرون، إلا أنه من الأرجح أن تكون قلعة أنصاري أقدم منها والتي تم بناؤها من قبل ساكنة المنطقة من غير المسلمين آنذاك، وليسوا بالبيزنطيين، لأن البيزنطيين غزاة محتلون هو يشيدون القصور ويستولون على الخيرات،

أما القلاع، هيقلعين فبنى من طرف الأهالي لتخزين محاصيلهم، ولو كانت للبيزنطيين، لوجدنا قلاعاً في أماكن عديدة لبيزنطة، وهنا نقول أن القلاع بناءت أمازيغية محصنة، بل هذا يعزز تاريخ وحضارة المنطقة، وأن البناءات ليست حديثه (باردو، 2020، ص 15).

ويعد تدمير قلعة تابندوت وحرق جسرهما تم بناء قلاع جديدة لكنها متفرقة حسب "هيرفيقين" وهي خمس، حيث يقول الإخباري (ب.ل) الذي أجريت معه المقابلة يوم 2022/10/27م يتمكن عرش آث عبد الرحمان من بناء قلعة جديدة موحدة بسبب عدم اتفاقهم والخروج برأي واحد باستثناء فرقة آه رميلي، وفرقة آه خلاف شيدتا قلعة خاصة مشتركة خاصة بهما، ثم بناء ثلاث قلاع فردية لكل من هارفيقت أي سي محمد أو عبد الله، وفي المكان المسمى تابندوت، هارفيقت أي آييداوذ في المكان المسمى هيزي نتاكسلت، قلعة هارفيقت آه رميلي وآه خلاف بالمكان المسمى أهماسخت نيجيال.

4-2 وصف القلعة

صورة رقم (5): صورة حديثة لبناءات قلعة كباش



المصدر : تصوير هاوي لقلع الاوراس

أ- البناء

بنيت قلعة أكباش على شكل مدرج عملاق، وتمتد من سفح الجبل شرقاً إلى أسفل غرباً، وتتكون من اثني عشر درجاً، وكل درج يتألف من طابقين إلى ثلاث طوابق، وتم بناؤها بواسطة الحجارة والطين مع تدعيم جدرانها بواسطة جذوع الأشجار من نوع العرعار

المنتشرة بكثرة في هذه المنطقة، وذلك لإعطائها الصلابة والمتانة اللازمة لتماسك جدرانها لتقاوم عوامل الزمن والطبيعة (سناحي، 2019، ص 34).

والقلعة عبارة عن مجموعة من البنايات التي تظهر للناظر من بعيد كأنها متشعبة بصخرة ملساء ومائلة بنسبة 60 درجة ويطلق محليا على هذا الجزء من الجبل اسم لصفاح أشرقي (Tillion, 2000, p.179) ولفظ أصفيح بالشاوية معناه الجبل ذو التضاريس الصخرية وهو مقابل لجبل أحمر خدو (بن ايدير، 2016، ص 116).

وتتكون القلعة من ثلاثة إلى أربعة طوابق وفي هذا الصدد يقول جاك فوبلي الطوابق في هاقليعت أكباش هي من ثلاثة إلى أربعة طوابق، وشكلها لا يخضع للتقليد وليس ما يحدد الشكل باستثناء الموقع الذي تأقلمت فيه، أما الحجرات فتبنى بشكل تدريجي شاقولية فوق بعضها البعض، وتحتوي على عمودين أكثر حسب مساحة الحجرة داخلها (باردو، 2020، ص 27).

ومن خلال المقابلة التي أجريتها مع السيد (ع. م) يوم 2022/10/28 صرح أن ساكنة عرش آث عبد الرحمان يطلقون على قلعة أكباش اسم (هابليت) والتي تنقسم إلى هابليت علوية، وهابليت سفلية، ومدخلها جنوبا، وهابليت حسب الباحث عبد الرحيم بن إيدير Tablidt، وتعني البلدة وهي تسمية أندلسية بربرية تطلق على البلدة الصغيرة، وموقع تابليت يعتبر موطن بعض المرابطين الأندلسيين وغيرهم (بن ايدير، 2016، ص 129).

ب-مداخل القلعة:

للقلعة مدخلان كبيران، وكل مدخل له باب خشبي كبير يتكون من دفتين كبيرتين والذي يسمح بدخول وخروج البغال من أجل إنزال أو حمل المؤونة من داخل القلعة.

ج-غرف القلعة:

تتكون القلعة من 61 غرفة في الطابق الأرضي منها، إضافة إلى غرفتين تقعان خارج القلعة وبالضبط عند مدخلها الجنوبي ليلبلغ العدد الإجمالي 63 غرفة وهذا حسب ما دونته

الباحثة تيريز ريفيار في الدفتر الثالث من أرشيفها، زيادة إلى العدد المجهول من الغرف الموجودة في الطابق الأول والثاني وحتى في الطابق الثالث في بعض البنايات المكونة للقلعة، مما يجعلنا نجزم بأن العدد يفوق 150 غرفة (سناحي، 2019، ص 36)

أما "روبير لافيتت R.Laffitte" فقد ذكر في كتابه "إنها الجزائر"، بأن قلعة أكباش تتكون من حوالي 63 غرفة (laffitte, 1996, p.63)، لكن هذا العدد الذي قدمه يخص الطابق الأرضي فقط، ولم يذكر العدد في الطوابق الأخرى

وهذه الغرف حسب رواية السيد (ط. أ) الذي أجرينا معه المقابلة يوم 2022/10/29 تستعمل لتخزين البقول والحبوب الجافة، وهي حجرات صغيرة لا تتعدى الكبيرة منها 6 م² أي (3م×2م)³، أما ارتفاعها حسب ذات المتحدث لا يتعدى المترين، ويتم إنجازها خصيصا لحفظ المؤونة الخاصة بملاك هذه الغرف، وهي مكيفة طبيعيا لا تسمح بفساد المؤونة الموجودة داخلها مهما بلغت درجة الحرارة في فصل الصيف، وحسب المتحدث فإن هذه الحجرات تشبه غرف التبريد في يومنا هذا لكن دون استهلاك للطاقة

وحسب السيد (ت. ص. ط) الذي أجرينا معه المقابلة يوم 2022/10/30 وهو من سكان عرش آث عبد الرحمان أن هذه الغرف يتم توارثها أبا عن جد منذ تشييد القلعة، ويمكن بيعها أو التنازل عنها لأحد أفراد العائلة أو العرش، كما يمكن للشخص الواحد أن يمتلك عدة غرف، وهناك أيضا الملكية المشتركة للغرفة الواحدة، أمام البيع للغريب الذي لا ينتمي لعرش آث عبد الرحمان فهو ممنوع منعا باتا.

د- أبواب الغرف:

هي أبواب قصيرة مصنوعة من عدة ألواح خشبية مترابطة مع بعضها البعض، وأحيانا تتم تقويتها عرضيا بشرائط حديدية مثبتة بالمسامير، وتقع هذه الأبواب دائما من الجهة اليسرى مع ارتكاز دورانها في الفتح والغلق على المحور الذي تمثله سارية خشبية ثم

تثبيتها عموديا على الجهة اليمنى للباب، وتتم عملية الدخول لهذه الغرف عن طريق الانحناء بسبب قصر أبوابها (سناحي، 2019، ص 38).

هـ-السلام:

حسب رواية السيد (أ.ب) يتم إنجاز هذه السلام من جذوع الأشجار، وذلك بتمديدتها مائلة على ركائز خشبية مثبتة في حائط الغرفة التي بجانبها إلى غاية مدخل الحجرة التي في الطابق العلوي منها، ثم ربطها جيدا بالحبال حتى لا تتحرك مع وضع التراب فوقها لكي لا تغوص أرجل مستعمليها بين الأخشاب.

و- الممرات:

هي مسالك تفصل ما بين البنايات التي تشكل القلعة، وتسمح بالتنقل بينها في جميع الاتجاهات الأربعة، كما يمكن للبغال المرور عبرها، وهي محملة بالمؤونة والوصول إلى غاية البطحاء التي يراد الوصول إليها لإنزال الحمولة فيها ثم نقلها بواسطة القفف إلى غاية الغرفة التي يراد التخزين فيها.

ز- نوافذ الغرف

حسب السيد (ت. أ م) الذي أجرينا معه المقابلة يوم 2022/10/30 تحتوي قلعة أكباش على المئات من النوافذ الصغيرة المختلفة الأشكال منها المثلثة والمربعة، والتي تسمح بدخول الهواء والضوء اللازمين من أجل الحفاظ على المؤونة المخزنة داخل الغرف.

ح- البطحاء

هي مساحة صغيرة يصرح المتحدث (ت. أ م) تقع وسط البنايات التي تكون القلعة، وهي غير مستوية تماما بسبب تضاريس المكان، ويتم فيها إنزال الحمولة من ظهور البغال، ثم إخراجها من القلعة إلى غاية المكان المخصص لها وربطها بالحبل لكيلا تهرب

ط- مركز الحراسة

يخبرنا السيد (أ. ب) أن لقلعة أكباش مركزا للحراسة يقع في الجهة العلوية منها شرقا، ويطل مباشرة على الهوة السحيقة لوادي أكباش شمالا، والتي يتجاوز ارتفاعها حوالي 70 مترا، مما يجعلها جدارا طبيعيا عازلا لا يمكن اختراقه، ويسمح للحارس الحصول على نظرة شاملة حول محيط القلعة، وهو لا يزال قائما ليومنا هذا ولم يصبه القصف الجوي الذي أصاب القلعة سنة 1955 من قبل فرنسا.

ي- أحواش الباي

هي بناية كبيرة شيدت على الضفة الغربية لوادي أكباش من طرف أحمد باي أثناء لجوئه عند عرش آث عبد الرحمان سنة 1845، وهذه البناية مقر إقامة أحمد باي وجنوده، وتم بناؤها بواسطة الحجارة والطين مع تغطية سقفها بالأخشاب والتراب وتتكون البناية من عدة غرف كبيرة وواسعة إضافة إلى إسطبل خاص بالخيل، أما على جهتها الجنوبية فتم تشييد مسجد للصلاة مع محراب متجه للقبلة (سناحي، 2019، ص 54)

عندما سلم الباي أحمد نفسه للسلطات العسكرية، أصبح مقر سكناه ملكا للعرش، فتم اهداؤه لمدرس القرآن الكريم للسكن فيه ومزاولة التدريس لأبناء العرش، ولكنه عند وفاته لم يترك ذرية لترث المسكن، فاضطر العرش توزيع المسكن على عدة عائلات وهي تاشرافت، عمراوي، باردو، حيوني، دخيلي وجباري.

ك- إخبواي

يخبرنا السيد (ب.ف) بشأن إخبواي بأنه مكان يقع وسط غاية من أشجار العرعار، غير بعيد من مقر إقامة الباي أحمد، وحسب نفس المتحدث فإن الذاكرة الجماعية تتداول الأخبار أبا عن جد، فإن الباي أحمد كان يخبئ كنزوه في هذا المكان، وحتى عند استسلامه تركها هناك، وهي ما زالت مخبأة تحت الأرض، مما جعل البعض يقومون بعمليات الحر في بعض أماكن هذا الموقع أملا في الحصول على هذا الكنز المفقود.

ل- جبل عسكر

هو الجبل الذي يحده منطقة أكباش من الجهة الغربية والذي يكون حاجز، بينها وبين منطقة إخلوفن، ونظرا لعلوه ثم تشييد مركز حراسة أعلى قمته، من طرف أحمد باي وجنوده سنة 1845، لمراقبة العدو الفرنسي وتحركاته في المنطقة، وخاصة على الجهة الجنوبية منها المقابلة للزاب الشرقي (سناحي، 2019، ص 58)

يتمثل مركز الحراسة المشيد أعلى قمة جبل عسكر على نيابة تتكون من غرفتين، ولهما بابان متجهان للجهة الشمالية وكانت تتم الحراسة بالتناوب من طرف جنود أحمد باي، والبالغ عددهم 70 فارسا (سناحي، 2019، ص 58).

نصل بعد وصف القلعة وبنائها إلى استخلاص جملة من الخصائص العمرانية إن سكان أوراس هم من بنى هذه البنايات المختلفة، بنوا عمارة مدهشة بدون معماري، المصمم هو كل المجتمع، والمعماري فيها مجموعة السكان الذين ألفوا فن البناء من تراكم خبرات وتجارب احتياجاتهم للفراغ المعيشي آخذين بعين الاعتبار ماضيهم العريق وتواصلهم في هذه الأرض وثقافتهم الحية آنذاك، وتجسيدا لمقدساتهم الدينية، دون المساس بأعرافهم الأمازيغية، كل هذه الاعتبارات هي نظرة عميقة للحياة وللعالَم (باردو، 2020، ص 93)

وحسب بيار بورديو التنظيم المجتمعي البربري في أي فترة زمنية أو مكان يرتبط ارتباطا وثيقا بوضعية وإطاره. والتجمع العمراني والمسكن. ومناظر الطبيعية والبساتين وهو إبداع المجموعة (Bourdieu, 1981, p. 81).

إن القلاع رغم بساطتها فهي فن في التصميم الفراغي والتشكيل المعماري والتأقلم مع المحيط الجغرافي وهي التشبث Akbach الثقافي والاجتماعي في هذه البقعة الجبلية الصعبة، والسكان أضافوا إلى عوائق الطبيعة شيئا جديدا هو فن البناء بطريقتهم الخاصة، وتكيفوا مع هذه الطبيعة بكل سلاسة (باردو، 2020، ص 94).

وعرش آث عبد الرحمان أكباش بعد تخليه على نظام القرية في "هابندوت" أصبح الفراغ السكني متفرقا ولا يكون تجمعاً سكانياً، بل هذا التوزيع يخضع لفراغ السكن مع الفضاء الفلاحي وحسب تواجد منابع المياه (Rivière, 1987, p.186).

ففي أوراس استهلاك الفضاء له أربع حالات، فضاء فلاحي يختاره العرش، فضاء سكني يختاره هارفيقت (جزء من العرش تحت اسم ابن جد ما)، فضاء للمرافق حسب حاجات العرش عند عرش آث عبد الرحمان هناك مرفق هاوريا، والمنازل من اختيار العائلات من نفس الجد وتكون متقاربة (باردو، 2020، ص 91).

وفن البناء في عرش آث عبد الرحمان هو من العمل الجماعي للمجموعة التي تلي حاجات العرش والمجموعات القرابية التي تنطوي تحته وفقاً لطبوغرافيا الأرض ونظام الأعراف السائدة، وهنا نجد أيضاً تأقلم النمط المعيشي للمجموعة مع الموقع فيكون لدينا انسجام تام بين العمارة والمحيط البيئي في الشكل واللون والمواد المستعملة، هذه هي ميزة العمارة المحلية في أوراس إيشاوين، فلا تكون مشتتة أو قرية إلا باتخاذ هذا النظام المذكور.

3- الخصائص السيسيو-ثقافية للقلاع الأوراسية بمنطقة أجبل أجمر خدو.

- الفلاحة في قلعة أكباش.

تمتاز الفلاحة بالتنوع، إلا أن السكان لا يكثرون من كل نوع، بل يقتصرون على حاجاتهم الضرورية منها، وذلك لقلّة المساحة المنتجة من الأرض، ولذلك فهم يقتصدون كثيراً في معيشتهم، فعندما يجمعون غلتهم الصيفية يقسمونها حسبما تقتضيه حياتهم القروية بدون إسراف، وكانوا شديدي الحرص على تنظيم موارد رزقهم واقتصادهم بصفة عامة فيقسمون إنتاجهم على ثلاثة أقسام، وفي هذا يروي لنا الإخباري (ع.م.أ) الذي أجرينا معه المقابلة يوم 2022/11/02 يخصص القسم الأول للاستهلاك الأسري ويخضع إلى عدد أفراد الأسرة، وهذا يودع جزء منه في غرفة الخزن بالقلعة، ولا يتصرف فيه إلا رب الأسرة،

فهو الذي يفتح الغرفة ،ويزود العائلة منها بما تحتاجه من المؤونة، كما يدخر جزءا آخر في المنزل ليكون قريب التناول بحيث يمكن إعداد أي وجبة للضيف الطارئ ليلا أو نهارا. ويضيف نفس المتحدث أن القسم الثاني يخصص للبذر والزرع وهذا يودع مثل الأول في القلعة إلى وقت الحرث والبذر، بحيث لا يضطر الملاك إلى الشراء من السوق أو القرض من الآخرين، والقسم الثالث، وهو الفائض أي الزائد عن الاستهلاك، فهذا كان يسوق في الأسواق المحلية أو يسافر به إلى المدن الكبيرة كبسكرة وباتنة، أو قرى الزاب فيباع نقدا أو مقايضة حسب السوق التي يقصدونها.

- الري

بفضل وادي أكباش، والذي يستمد مياهه من الأمطار والثلوج المتساقطة في جبل تاكطيت ومنطقة هوير، كانت تتم عملية سقي الحقول على ضفاف الوادي من السد المنجز عند المخرج الجنوبي للمضيق، ومنه تتم عملية الري بواسطة ساقية تم إنجازها على الصخور، وذلك بحفر ثقب متقاربة، لكي تستعمل لتثبيت الركائز التي توضع فوقها المنصة الخشبية المنجزة من جذوع الأشجار، مع تدعيمها بالحجارة والطين على شكل ساقية (سناحي، 2019، ص 54)

- مجمع تربية النحل أو عمارة hawerya

هي حجرات مجتمعة في أربع مجتمعات كبيرة وظيفتها تربية النحل بشكل كبير، وهذا النظام يمتاز به عرش آث عبد الرحمان أكباش، وتتواجد بالقرب من قلعة أكباش، حجرات النحل منفردة إلا في القليل هي مجتمعة (Rivière, 1987, p.138)

يعتبر هذا المجتمع المورد الأول لإنتاج العسل عند عرش آث عبد الرحمان يبلغ عدد بيوت هذا المجمع 63 بيتا لتربية النحل، وكل بيت يحتوي ما بين 20 إلى 50 خلية، وهذا حسب الحجم والسعة لكل واحدة منها، وتم تشييدها حسب مواصفات محددة بحيث تكون الجهة الجنوبية المنفذ الوحيد لدخول وخروج النحل أما الخلايا المصنوعة بطريقة يدوية

من نبات الحلفاء والجبس، فيتم وضعها فوق بعضها البعض على شكل جدار للجهة الجنوبية مع وضع فتحات الخلايا في نفس الاتجاه (Rivière, 1987, p.183).

- حراس قلعة أكباش

تتم حراسة قلعة أكباش من طرف حارسين، تسند لهما مهمة الحراسة وفق الشروط المتعارف عليها والمتوارثة أبا عن جد، وكل حارس مكلف بحراسة مدخل لكون القلعة لها مدخلان جنوبي وشرقي، وتتم عملية التعيين من طرف المجلس أعيان أولاد عبد الرحمان والمتكونة من عدة أشخاص يمثلون الفرق Fraction الخمس للعرش.

يتم تعيين حارس القلعة من طرف عرش آث عبد الرحمان ويكون بصفة دورية كل سنتين على أن يتم التناوب بين الفرق الخمسة للعرش، على شرط أن يوافق على تعيين الحارس الجديد من طرف جميع أعضاء المجلس، بعد أن يتم التأكد بتوفر شرط الأمانة والنزاهة في الشخص المختار، وباعتراف الجميع (سناحي، 2019، ص 68).

أما عن مراسيم التعيين فتتم وفق عادات موروثية من السابق منذ عقود زمنية، وفي هذا يروي لنا (ص.س.م) بأن الشخص المختار لحراسة القلعة يقوم بتحضير وليمة و المتمثلة في شخشوخة بلحم الماعز، إضافة إلى أكلة خاصة تسمى "أرفيس" والتي تحضر بالدقيق مع نوع من التمر الطري يسمى الغرس مع إضافة السمن الذي يحضر من حليب الماعز، ويتم تحضير الوليمة، وبكمية معتبرة في بيت الحارس الجديد وبمساعدة نساء العرش، يتم اختيارهن خصيصا لهذه المناسبة.

ويضيف نفس المتحدث أنه يمنع تحضير الكسكسي في هذه المناسبة بسبب الاعتقاد المتوارث بأنه سيجلب المشاكل ويتفرق أبناء العرش مثل تفرق حبات الكسكسي، تتم احتفالية تعيين الحارسين فوق سطوح إحدى البيوت الكبيرة ومباشرة بعد صلاة العشاء مع

حضور الإمام أو مدرس القرآن من أجل مباركة الحفلة والدعاء لله، وطلب الخير والبركة، وحماية القلعة من الغزو واللصوص، وإبعاد الأرواح الشريرة عنها والمتمثلة في الجن.

يتم تموين هذه الحفلة من طرف أصحاب الغرف بالقلعة، والتي تقدر بمكيالين من القمح وثلاثة مكيالين من الشعير، وهذا في السنوات التي يكون فيها الإنتاج وفيراً، أما في السنوات التي يصيبها الجفاف فتقل الكمية وتصبح نصف مكيال من القمح ومكيالاً من الشعير، تتم هذه العملية مباشرة بعد نهاية الوليمة، وتدفع لحارس القلعة تعويضاً له عن الوليمة وبالإضافة (سناحي، 2019، ص 70).

أما عن مهام الواجبات المسندة لحارس القلعة فقد عددها الباحث عبد الحميد سناحي فيما يلي:

مساعدة كل من يدخل أو يخرج بالمؤونة من وإلى القلعة، وذلك بإنزالها أو تحميلها على البغال.

تنظيف الأزقة الداخلية للقلعة من الأوساخ.

توفير الماء الصالح للشرب للأشخاص القادمين للقلعة من أجل إدخال أو إخراج المؤونة

تحضير الأكل (الكسرة) للزوار أصحاب الغرف بالقلعة لكونهم يأتون من أماكن بعيدة قد تصل إلى عدة كيلومترات.

تحضير الأكل من طرف زوجة الحارس.

إعلام ملاك الغرف عن الأضرار التي تلحق بكل غرفة، والقيام بالإصلاحات الواجبة فوراً

مراقبة جميع الغرف بعد سقوط الأمطار، ومعالجة الأضرار من الماء التي تلحق بالحبوب

يقوم بكييل الحبوب التي تدخل أو تخرج من وإلى القلعة .
يقوم بوزن الصوف الذي يدخل أو يخرج من وإلى القلعة.
نصل بعد هذا العرض إلى استخلاص جملة من الخصائص السسيوثقافية لقلاع
أجبل احمر خدو

3-1 التنظيم الاجتماعي

إن التنظيم الاجتماعي داخل المجتمع في أوراس منذ فجر التاريخ إلى غاية القرن
التاسع عشر، كنت حياة المجتمع الشاوي على المستوى الهيكلي يديرها نظام تاجماعت،
وهو مجلس الشيوخ الحكماء الذين ورثوا تطبيق مجموعة من القوانين والأعراف المتوارثة
شفهيا من الأب إلى الابن هذه الأعراف تؤثر على الجانب الاجتماعي والاقتصادي
والعسكري وحتى الديني (Tillion, 2000, p.168)

وفي هذا السياق أبدع سكان أوراس القدماء نمودجا للعمارة الاجتماعية الجماعية
المشتركة لجميع أفراد العرش وأوجدوا أسلوبا للإنتاج خاصا بهم، أبعد من ذلك أبدع المجتمع
نمودجا معماريا له خصوصية خاصة في أوراس مثل القلاع التي تعد بنوكا للادخار، ثم
استخدامها لتخزين المواد الغذائية واللحوم المجففة، والفواكه المجففة الفردية (الأسرة)
والجماعية العرش، بحيث يلي التوزيع حسب الأعراف المتعامل بها في احتياجات المجتمع
(باردو، 2020، ص 90)

فيما يتعلق بطريقة الإنتاج كان الاقتصاد في أوراس يعتمد على الزراعة، وكان ساكنته
إيشاوين والتي تعني سكان قمم الجبال، فهم يسكنون قمم الجبال، ويذرون الأراضي الخصبة
للزراعة، وبما أن المحصول غير منتظم نتيجة طبيعة منطقة جبل أحمر خدو والذي يمتاز بقلّة
الأمطار في الخريف وبداية الربيع، والرياح الجافة (الشهيلي-الشرقي) جعلت من المحاصيل
الزراعية قليلة أو منعدمة في بعض الأحيان، ولهذا فإنه في سنوات الخصب يتم تخزين

المحصول بكميات وافرة ما دامت القلاع بإمكانها استيعاب كميات معتبرة من المحصول
لأوقات القحط (بن ايدير، 2016، ص 70).

وبما أن سكان أوراس أنصاف رحل أكثر منهم حضر فإنهم يبتعدون عن أماكن
إقامتهم الثابتة لرعي ماشيتهم، في حين يتكون جزءا من مؤونتهم في هذه المخازن وتعزز
عليها الحراسة (بن ايدير، 2016، ص 70).

2-3 العلاقات الاجتماعية.

أما بالنسبة للعلاقات الاجتماعية، فقد كان المجتمع الشاوي في أوراس مكونا من
طبقة اجتماعية واحدة، حيث وسائل الإنتاج كانت جماعية، ولا سيطرة عليها ولا هيمنة
عليها، لأن لجنة الشيوخ الحكماء "تاجماعت" تحرص على تطبيق العدالة الاجتماعية بين
الجماعات أو الأفراد.

ونظام "تاجماعت" هي مجموعة من أفراد العرش من أهل الحل والعقد يصدر
الأحكام مع التنفيذ، وذلك لحل جميع الخصومات والنزاعات ولو كانت جريمة قتل، ويتكون
مجلس الجماعة عادة من كبار السن إذا كان خاصا بالذشرة الواحدة، أما إذا كان موسعا
فإنه يشمل العرش كله أو مجموعة من الأعراش، ويتكون حينئذ من ممثلي كل عشيرة أو من
بطون أو أفخاذ كل عرش إذا كان موحد الأصول.

واستنادا إلى النصوص والوثائق، فإن أعضاء المجلس يتفقون على مجموعة من المواثيق
والضوابط والعادات، وتشمل تلك المواثيق على جميع مجالات بيئتهم الريفية البسيطة
كالزواج، الطلاق، الإرث، السرقة والاعتداء على الحرمات والضرب وإشهار السلاح
والقتل والدية، وكيفية اقتسام دفعها بين أفراد العرش" (بن ايدير، 2016، ص 62)

ونظام الجماعة رغم بساطته إلا أنه ساد في الأرياف لمدة قرون وهو نظام عريق
متجذر في المناطق الأمازيغية وخاصة الأوراسية إذ يمتد جذوره إلى فترات ما قبل الفتح

الإسلامي بحقبة طويلة، وهناك عدة أسباب وراء تجذر هذا النظام، أهمها سيطرة الغزاة المتعاقبين على السهول والأحواض الخصبة، وفرار السكان الأصليين إلى الجبال وعلى الأخص في العهد الوندالي والروماني (خوف، 1999، ص 14)

ويتكون نظام تاجماعت من شيخ العرش الذي تختاره الجماعة من بين أعضائها ويكون من ذوي العصبية النسبية ورجاحة العقل والهيبة، ويسمى "أمغار"، ويستمد شيوخ الأعراس شرعية سلطتهم من العقول والحكمة وحسن السلوك ورضا الناس عنهم (بن ايدر، 2016، ص 62).

نتائج الدراسة :

أ- النتائج المتعلقة بالخصائص العمرانية

- إن سكان أوراس هم من بنى هذه البنايات المختلفة، بنوا عمارة مدهشة بدون معماري، المصمم هو كل المجتمع، والمعماري فيها مجموعة السكان الذين ألفوا فن البناء من تراكم خبرات وتجارب احتياجاتهم للفراغ المعيشي آخذين بعين الاعتبار ماضيهم العريق وتأصلهم في هذه الأرض وثقافتهم الحية آنذاك، وتجسيدا لمقدساتهم الدينية، دون المساس بأعرافهم الأمازيغية، كل هذه الاعتبارات هي نظرة عميقة للحياة وللعالم (باردو، 2020، ص 93)

- وفن البناء في عرش آث عبد الرحمان هو من العمل الجماعي للمجموعة التي تلبي حاجات العرش والمجموعات القرابية التي تنظوي تحته وفقا لطبوغرافيا الأرض ونظام الأعراف السائدة، وهنا نجد أيضا تأقلم النمط المعيشي للمجموعة مع الموقع فيكون لدينا انسجام تام بين العمارة والمحيط البيئي في الشكل واللون والمواد المستعملة، هذه هي ميزة العمارة المحلية في أوراس إيشاوين، فلا تكون مشتتا أو قرية إلا باتخاذ هذا النظام المذكور.

- إن القلاع رغم بساطتها فهي فن في التصميم الفراغي والتشكيل المعماري والتأقلم مع المحيط الجغرافي وهي التثبيت Akbach الثقافي والاجتماعي في هذه البقعة الجبلية الصعبة، والسكان أضافوا إلى عوائق الطبيعة شيئاً جديداً هو فن البناء بطريقتهم الخاصة، وتكيفوا مع هذه الطبيعة بكل سلاسة (باردو، 2020، ص 94).

ب- النتائج المتعلقة بالخصائص السوسيوثقافية:

- إن التنظيم الاجتماعي داخل المجتمع في أوراس منذ فجر التاريخ إلى غاية القرن التاسع عشر، كنت حياة المجتمع الشاوي على المستوى الهيكلي يديرها نظام تاجماعت، وهو مجلس الشيوخ الحكماء الذين ورثوا تطبيق مجموعة من القوانين والأعراف المتوارثة شفها من الأب إلى الابن هذه الأعراف تؤثر على الجانب الاجتماعي والاقتصادي والعسكري وحتى الديني (Tillion, 2000, p.168)

- فيما يتعلق بطريقة الإنتاج كان الاقتصاد في أوراس يعتمد على الزراعة، وكان ساكنته إيشاوين والتي تعني سكان قمم الجبال، فهم يسكنون قمم الجبال، ويذرون الأراضي الخصبة للزراعة، وبما أن المحصول غير منتظم نتيجة طبيعة منطقة جبل أحمر خدو والذي يمتاز بقلّة الأمطار في الخريف وبداية الربيع، والرياح الجافة (الشهيلي-الشرقي) جعلت من المحاصيل الزراعية قليلة أو منعدمة في بعض الأحيان، ولهذا فإنه في سنوات الخصب يتم تخزين المحصول بكميات وافرة ما دامت القلاع بإمكانها استيعاب كميات معتبرة من المحصول لأوقات القحط (بن ايدر، 2016، ص 70).

- وبما أن سكان أوراس أنصاف رحل أكثر منهم حضر فإنهم يبتعدون عن أماكن إقامتهم الثابتة لرعي ماشيتهم، في حين يتكون جزءاً من مؤونتهم في هذه المخازن وتعزز عليها الحراسة (بن ايدر، 2016، ص 70).

- ونظام الجماعة رغم بساطته إلا أنه ساد في الأرياف لمدة قرون وهو نظام عريق متجذر في المناطق الأمازيغية وخاصة الأوراسية إذ يمتد جذوره إلى فترات ما قبل الفتح الإسلامي بحقبة طويلة، وهناك عدة أسباب وراء تحذر هذا النظام، أهمها سيطرة الغزاة

المتعاقبين على السهول والأحواض الخصبة، وفرار السكان الأصليين إلى الجبال وعلى الأخص في العهد الوندالي والروماني (خوف، 1999، ص 14)

- ويتكون نظام تجمعات من شيخ العرش الذي تختاره الجماعة من بين أعضائها ويكون من ذوي العصبية النسبية ورجاحة العقل والهيبة، ويسمى "أمغار"، ويستمد شيوخ الأعراس شرعية سلطتهم من العقول والحكمة وحسن السلوك ورضا الناس عنهم (بن ايدير، 2016، ص 62).

خاتمة:

ازدانت المجتمعات الإنسانية بحلة معمارها عبر العصور والأمكنة، بما في ذلك ساكنة أوراس، فهي في كل حين رسمت تحفا متواترة في نسق عمراني أخذ، فإذا تجولت في ممرات عمرانها تجد أن الحوار بين أفراد المجتمع الواحد يوازيه حوار متناغم مع العناصر المعمارية، المستقرئ لهذا الحوار يدرك أنه في العمارة التقليدية في منطقة أوراس احتراماً منقطع النظير للبعد الإنساني والاجتماعي وهويته الروحية والعالم المشترك التكوين، تناقله أفراد المجتمع الواحد ضمن إرث ثقافي عريق، ونتاج سكاني تقليدي عميق البعد، واحترام فيه المقياس الإنساني محققاً لمفهوم الوظيفة بكل ما تحمله الكلمة من معنى على الصعيد المحلي، عبر فيه مثل هذه العمارة التقليدية (القلاع) عن ثقافة المجتمع المحلي، واحترمت فيه عادات وتقاليد أفراد.

إذن فقد تعدت العمارة التقليدية في أوراس (القلاع) البعد المادي إلى البعد الإنساني - الثقافي الذي يلامس الجوهر الإنساني في حوار مع نفسه ومع أفراد أسرته، وفي حوار مع أفراد مجتمعه.

قائمة المراجع:

أ – باللغة العربية

1. باردو، بشير (2020)، أوراس هوية عمارة سياحة، دار أدليس بلزمة للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر.
2. بن ايدير، عبد الرحيم (2016)، نافذة على تاريخ غسيرة، الأحداث التاريخية الأنساب، الطوبونيميا ، دار أنزار، الجزائر.
3. بوساحة، أحمد (2002)، أصول أقدم اللغات في أسماء أماكن الجزائر، دار هومة، الجزائر.
4. ساعد، خديجة (2017)، الطوبونيميا الأمازيغية، أسماء وأماكن من الأوراس، ج 1، دار أنزار للنشر، الجزائر.
5. سناسي، عبد الحميد (2019)، قلعة أكباش بين الماضي والحاضر، دار المثقف، الجزائر.
6. باللغة الفرنسية:
7. Cibot,A (1870), « souvenirs du Sahara, excursion dans les monts Aurès (Cercle de Biskra) » Paris.
8. Despois, J (1953), les greniers fortifiés du nord, les cahiers de Tunisie, Publie par L'institut Haute études de Tunisie
9. Keun, Odette (1930), Dans L'Aurès inconnu Soleil, Pierres et Gaulaas, Ed, Société Française d'Édition littéraires, et techniques, Paris
10. Laffitte, R (1996), C'était L'Algérie, Paris, Imprimerie Imbert
11. Rivière, Thérèse (1987), Aurès/Algérie 1935-1936 photographie, Suivi Elle a passé tant heures... par fanny Colonna, Alger/Paris.
12. Rinn, L(1983), Géographie ancienne de l'algerie Revue Africaine, Volume 37, 1893, Bulttin corespondance. Africaine Quatrieme année 1885.
13. Tillion, Germaine (2000) IL était une fois Lethnogrphie, Ed du seuil, Paris.